



إهدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

فرقة البحث (P.R.F.U): تاريخ وادي سوف الثقافي بين 1900-1988م

بحوث الملتقى الدولي السابع المقاومة الثقافية لأعلام الفكر الإصلاحي في الجنوب الشرقي الجزائري ما بين 1900 - 1962م

بتاريخ: 05 و06 ذو القعدة 1443هـ / الموافق ل 04 و05 جوان 2022



أثر محمد الأخضر السائحي في صناعة المشهد الثقافي في الجنوب الشرقي قبل الاستقلال

Mohamed al-Akhdar al-Sayihi 's impact on the cultural scene industry in the southeast before independence

أ.د / قويدر قيطون

معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي (الجزائر)
Kouider201230@gmail.com

د / بسمة بله باسي

معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي (الجزائر)
bellabaci-basma@univ-eloued.dz



ملخص: يعتبر محمد الأخضر السائحي (السائحي الكبير) أحد أهم أعلام الجنوب الشرقي الجزائري، الذين كان لهم دور فاعل في الساحة الثقافية والأدبية أثناء فترة الاحتلال الفرنسي، مما جعله على رأس قادة المقاومة الثقافية في الجزائر عامة وفي الجنوب الشرقي خاصة؛ سواء ما تمثل في نشاطه الثقافي في تونس وخدمته للطلاب الجزائريين هناك، أو بدوره في إنشاء التعليم في منطقة تماسين وتقرت، أو بعمله في الإعلام بعد أن انتقل إلى العاصمة، أضف إلى ذلك منجزاته المتنوعة شعرا ونثرا ذات الفاعلية في هذا الحقل، وعليه تسعى هذه المداخلة إلى النظر إلى هذا العلم المتميز من زاوية إسهامه في المقاومة الثقافية أثناء فترة الاحتلال حتى وإن كان جهده قد امتد وبشكل مهم إلى ما بعد الاستقلال، وذلك بتناول ما يأتي:

- السائحي الكبير مولدا ونشأة:
- النشاط العلمي والثقافي في تونس؛
- أثر السائحي في المشهد العلمي والثقافي في الجنوب الشرقي؛
- النشاط الثقافي المقاوم بعد الانتقال إلى العاصمة.

الكلمات المفتاحية: محمد الأخضر السائحي؛ المشهد الثقافي؛ الجنوب الشرقي؛ قبل الاستقلال.

Abstract :

Mohamed al-Akhdar al-Sayihi (the great tourist) is considered one of the most important figures in the southeast of Algeria. He had an active role in the cultural and literary arena during the period of the French revolution that made him a leader of the cultural resistance in Algeria in general and in the southeast in particular. his cultural activity were in Tunisia and in Algerian serving students there, and establishing education in the region of Tamasin and Touggort. He also worked in the

media after he moved to the capital Algiers. Add to this his various achievements in poetry and prose that are effective in this field. Accordingly, this intervention seeks to look at this distinguished science from the point of view of its contribution to the cultural resistance during the period of French revution, even if its efforts extended in a way that important until after independence, by addressing the following topics: - The great tourist, born and raised. - Scientific and cultural activity in Tunisia. - - The impact of the tourist on the scientific and cultural scene in the southeast. - Resistance cultural activity after moving to the capital.

Keywords: Mohammed Al-Akhdar Al- Sayihi; cultural landscape; southeast; before independence words at most - Separated by semicolons..

1. مقدمة

كما تعددت أشكال المقاومة المسلحة الشعبية الجزائرية للمحتل الفرنسي بمجرد أن وطنت قدماه أرض الجزائر؛ فقد تعددت أيضا أشكال المقاومة الثقافية، تعليما وتربية، وتمسكا بالثقافة والعادات والتقاليد واللغة، وغير ذلك، ومنها ما كان جمعيا في شكل هيئات ثقافية وعلمية، ومنها ما كان فرديا متمظفرا في نشاط علماء وأدباء، كما أنهم وإن تحركوا فرديا إلا أنهم كانوا كالأمة في حرصهم وتأثيرهم، فتحلق حولهم الناس يأخذون منهم اللغة والأدب والقيم. ومن أولئك الأستاذ الشاعر محمد الأخضر لخضاري المعروف بالسائحي الكبير، والذي كان له دور بارز في الحركة الإصلاحية وقيادة المقاومة الثقافية بنشاطه الدؤوب الذي بدأ مبكرا في مسقط رأسه ، وانتقل معه إلى تونس حيث كان طالبا هناك، وتوسع بعد عودته إلى الجزائر، وهو ما تسعى هذه المداخلة إلى مقارنته وتبسيط الضوء عليه.

2. السائحي الكبير مولدا ونشأة

1،2. تعريفه:

ولد محمد الأخضر السائحي شهر أكتوبر عام 1918 بقرية العالية، شمال غرب ولاية ورقلة. ابن محمد العلمي بن سيدي الأخضر بن الأخضر بن عبد القادر، ينتمي إلى عائلة الأخضرية المتفرعة عن عرش أولاد السائح المنحدر من سيدي امحمد السايح بن أحمد بن علي بن يحي (أوائل القرن9هـ/15م) أحد الرجال الصالحين بالمنطقة والموجود ضريحه بمنطقة جلالة بلدة عمر دائرة تماسين، من عائلة مجيدة، محبة للعلم، قدمت للمنطقة جلةً من العلماء والمفتين.

2،2. تعليمه:

انضم إلى أقرانه وهو في سن الخامسة ليحفظ القرآن الكريم، وقد امتاز بسرعة الحفظ

مما جعله يتم حفظه للقرآن الكريم في التاسعة بمسقط رأسه على يد مشايخ في قريته، أشهرهم: الشيخ محمد بن الزاوي، والشيخ بلقاسم شتحونة، وأجيز على حفظه سنة 1930، ثم أخذ يعلمه للصبيان بمسقط رأسه لمدة تجاوزت السنتين¹. انتبه والد السائحي إلى ذكائه وجودة حفظه وقد سبق له زيارة مدينة القرارة في ولاية غرداية، وعرف ما فيها من نشاط علمي، وتأثر بالأفكار الإصلاحية التي رفع لواءها الشيخ بيوض في المنطقة الذي أسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين "في 5 ماي 1931م حيث كان ضمن أبرز علماء الإصلاح في أول مجلس إداري لها، ومن أبرز الوجوه الزيتونية التي تركت آثارا بارزة في مجال التربية والتعليم، فقرر نقل ابنه للقرارة بمعهد الحياة - مدرسة الشباب -، (الذي يعود تأسيسه إلى يوم 28 شوال 1343هـ الموافق لـ 21 ماي 1925م على يد رائد الحركة الإصلاحية بالجنوب الجزائري الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض رحمه الله، ويعد معهد الحياة صرحا إسلاميا ومشروعا علميا تربويا، حيث كان التدريس في أول الأمر في دار الإمام الشيخ بيوض تحت اسم معهد الشباب حتى صدر الاعتراف الرسمي بجمعية الحياة سنة 1937م فتحولت تسميته إلى معهد الحياة)² سنة 1933، حيث أتم مقرر ثلاث سنوات في سنة واحدة، وكانت سنة دراسية واحدة كافية لتجعله يملك مفتاح المغامر نحو الرحلة في طلب العلم، ليلتحق بعدها ورغم الضائقة المالية وحالة أسرته الفقيرة بتونس ودرس بجامعة الزيتونة³.

3. النشاط العلمي والثقافي في تونس

3.1. دوافع رحلته إلى تونس:

هناك دوافع كثيرة دفعت محمد الأخضر السائحي للرحلة العلمية نحو تونس، من أبرزها:

- النهضة التي شهدتها تونس في العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين من جو علمي، وسياسي، وأدبي، والتي كان لها تأثير في نهضة المغرب العربي⁴، يقول عبد الله الركبي: "إن دافعنا إلى الهجرة هو دافع جيل كامل بل أجيال "قبلنا تهدف إلى أن تتثقف ثقافة عربية إسلامية أصلية، خاصة وأن التعليم المتوسط والثانوي ... ونحن أبناء الشعب من يعيش منا في الريف أو القرية لا فرصة له ليواصل تعليمه بعد الابتدائي فكانت (الزيتونة) ملجأ لمن

1- محمد الأخضر السائحي: ديوان همسات وصرخات، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص10.

2- ينظر: سعيد بكير عوشت: إبراهيم بيوض وجهاده الإسلامي في الجزائر، دط، المطبعة العربية، غرداية، 1987، ص 43.

3- محمد الأخضر السائحي: ديوان همسات وصرخات، المرجع السابق، ص 10.

4- محمد علي ديبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1971م، ج2، ص16.

لحرم من ثقافته وتراثه القومي"⁵.

- الاحتلال الفرنسي للجزائر وما ترتب عنه من انخفاض مستوى الدخل والمعيشة للغالبية العظمى من الجزائريين، بحيث إن أعدادا ضخمة منهم حرمت من التمتع بالخدمات العامة، كالصحة، والتعليم،⁶ فقد اتبع الاستعمار الفرنسي منذ دخوله الجزائر سياسة التجهيل للشعب الجزائري، وبذل كل جهوده لتحطيم ثقافة ولغة الشعب الوطنية، ولكي يضمن النجاح لهذه السياسة سلط الفقر والفاقة على الشعب ليلبيبه وينسيه جانب الفكر والتربية والثقافة والتعليم⁷، قد أرقق الشعب الجزائري حيث عبر عن ذلك ابراهيم أبو اليقضان: "لقد تسلط على الأمة الجزائرية عوامل ثلاثة، لوتسلط عامل واحد منها على أمة كبيرة لززع ركنها، وهد بناءها، ألا وهي: الجهل والفقر والفرقة"⁸.

- تأثير العامل الجغرافي، فقرب البلاد التونسية من الجزائر جعلها وجامعها الزيتونة قبلة للجزائريين عموما وللطلبة خصوصا، خاصة سكان الحواضر الجزائرية الشرقية والجنوبية الشرقية، فقد تأثر السائحى بالهجرات الطلابية من الجنوب الشرقي إلى تونس⁹.

- سعيه للاطلاع على التراث والاستزادة من كل المعطيات المعرفية التي تصقل مواهبه المختلفة.

- تأثره بالشيخ إبراهيم بيوض كونه يعد من أبرز الوجوه الزيتونية التي تركت آثارا بارزة في مجال التربية والتعليم في منطقة الجنوب الشرقي.

3.2. انتقاله إلى تونس:

بدأ محمد الأخضر السائحي رحلته لطلب العلم إلى تونس سنة 1934 قاصدا جامع الزيتونة (الذي أسس في العصر الأموي سنة 114هـ/732م، والذي يعتبر أقدم المعاهد التعليمية العربية في المغرب الإسلامي، والذي حمل لواء الثقافة القومية العربية وحافظ على المقومات الحضارية في الوقت الذي كانت فيه الثقافة مهددة بالمحو والمسح، وقد

5- سعيدوني (نصر الدين): دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص: 480.

6- إبراهيم مياسي: موقف الإدارة الاستعمارية من تعليم الجزائريين، في مجلة الشهاب الجديد، العدد3، الجزائر، 2004، ص 296.

7- يحي بوعزيز: أوضاع في الجزائر خلال ثورة أول نوفمبر، في مجلة الشهاب الجديد، العدد 03، الجزائر، 2004، ص، 1286.

8- حمادي عبد الله: أصوات من الأدب الجزائري الحديث، دار البعث، قسنطينة، 2001، ص27.

9- محمد صالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900م - 1962م، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 23.

استطاع أن ينشئ جسر تواصل دائم بينه وبين الجماهير العربية خاصة الجزائرية¹⁰ ، فكانت هذه فرصة له لينهل من معين هذا الصرح العلمي الذي كان قبلة لطلاب العلم من الجزائريين وحلم كل راغب، وكان الطلبة يتأهلون للدراسة في الجامع الأعظم بعد حفظ القرآن وتمكنهم من مبادئ العربية وعلومها، لقد استقطب جامع الزيتونة العديد من الطلبة الجزائريين من جهات عديدة من تبسة وعين البيضاء وقسنطينة¹¹ ، وقد تابعت هذه الفئات الطلابية التي درست في المعاهد الإسلامية وكونت لنفسها جمعيات وتنظيمات طلابية حتى تناضل لتحسين ظروفها الصعبة ومنها تأسيس جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، كانت بمثابة الناطق الرسمي لجمعية العلماء المسلمين والتي تأسست يوم 05 ماي 1931 في نادي الترقى بالجزائر العاصمة، بحضور 72 عالما قدموا من مختلف أرجاء الوطن، ومن مختلف التوجهات الدينية والثقافية، فكان منهم الطرقي، والمصلح، والمتطرف والمعتدل، في هذا الاجتماع تكونت لجنة تأسيسية، تكون منها مجلس إداري من 13 عضوا على رأسهم ابن باديس الذي تم انتخابه رئيسا لهذه الجمعية¹².

أدت زيارة عبد الحميد بن باديس سنة 1937 إلى تونس إلى تقوية الإحساس الوطني في نفوس الطلبة، وربط الجالية المهاجرة بالجزائر، وتقوية العمل المشترك بين التونسيين والجزائريين، ومن الطلبة الزيتونيين في الجزائر محمد الأخضر السائحي ورفاقه محمد الشبوكي، والشيخ عبد المجيد حريش، وعبد الرحمان شيبان، والشاذلي المكّي، وقد تفتقت موهبة علمنا الشعرية في سن مبكرة حيث كتب عدة قصائد من بينها قصيدة بعنوان محرم سنة 1356هـ، وقد برز نشاط محمد الأخضر السائحي في تونس من خلال القصائد التي نشرها في المحلات التونسية، وتوطدت علاقته بمجموعة من النوايع خاصة الأديب محمد المرزوقي وعبد الله الزريبي والتابعي الأخنش¹³ ، كما نظم قصيدة ولم يتجاوز عمره السابعة عشرة تعبر عن التوجهات السياسية والوطنية، وأصبحت النشيد الخاص للطلبة في المناسبات الوطنية، منها قوله:

سندراً بالسيف عند العذاب *** و نرفع بالعلم فيك العلم

فمن الجزائر غير الشباب *** نجاهد بالسيف أو بالقلم

10- ينظر: الطاهر عبد الله : الحركة الوطنية التونسية 1830 - 1956، ط2، دار المعارف للطبع، تونس، ص 226.

11- أحمد توفيق المديني: حياة كفاح (مذكرات)، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1976، ص: 87

12- ينظر: سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ج3، ص 89.

13- أحمد مريوش: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كنوز الحكمة، الجزائر، ج1.

ليتوق إلى العيش حرا مهابا *** يرى الحرب مستعرا كالسلم
فأنا بنوا الفاتحين الأول *** بلادي وأشبال تلك الأسود
لنا نهجوا أسوة في العمل *** سيرضيك منا ويرضي الجدود
غدا ليتحقق ذلك الأمل *** لديك وليس غد ببعيد¹⁴

وقد حمل في قصيدته كل معاني الاستهزاء والثورة، وتفجير قوى الرفض والغضب، وتعددت أنشطة الطلبة حيث عين محمد الأخضر السائحي مستشارا في ديسمبر 1936 في جمعية شبيبة شمال إفريقيا الموحدة، التي ضمت عددا من الطلبة الزيتونيين، ثم أعيد تعيين السائحي مستشارا في جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين التي كان رئيسها الشاذلي المكي، كما انخرط في الحزب الدستوري التونسي، حيث كانوا يعملون في إطار نقابي وثقافي، أو ضمن لجان الدفاع عن حقوق الطلبة عموما، وقد عملت الجمعية على تكوين الطلبة وتمكينهم من التحصيل الفكري والديني وحتى السياسي حتى يتمكن طلابها من تحمل المسؤولية وقضايا الوطن والتفكير في مستقبله؛ لأنهم بعد تخرجهم سيرجعون إلى الجزائر ويواصلون نشاطهم في الحركة الوطنية تحديدا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي نشط فيها محمد الأخضر السائحي¹⁵ وقد حصل على شهادة التطوع من جامع الزيتونة.

4. أثر السائحي في المشهد العلمي والثقافي في الجنوب الشرقي

عاد محمد الأخضر السائحي إلى الجزائر ولم تكن رحلات الطلبة بعيدة عن عيون الرقابة الفرنسية التي عززت من متابعتها لتنقلات الطلبة باتجاه جامع الزيتونة خاصة أن فرنسا اعتبرتهم يحملون أفكارا سلبية وسيأثرون على الرأي العام في المنطقة لا سيما في قطاع الجنوب، كما أنه وفي أحداث 9 أبريل 1938 الدامية بتونس كان محمد الأخضر السائحي أحد المطلوبين للسلطات الفرنسية بسبب نشاطه الصحفي وتراكيبه الشعبية الوطنية فعاد متخفيا إلى الجزائر، وبمجرد عودته سنة 1939م اعتقلته السلطات الفرنسية في السجن بمجرد نزوله من القطار لمدة أسابيع، وبفضل توسط أخواله في الزاوية التيجانية في تماسين لم يطل بقاء علمنا في السجن¹⁶، وقد أسهم السائحي في الحركة التنويرية بوادي ريف حيث تمكن من بعث النهضة الثقافية بمناطق الجنوب الجزائري في وادي ريف، كما انتقل إلى بلدة عمر فسعى لتأسيس مدرسة عربية حرة يعلم فيها مجموعة من الشبان والكهول، ثم انتقل إلى تفرت وعمل في مدرسة الفلاح، وفي سنة 1947 طلب منه أعيان "تماسين" أن يعود إليهم ويؤسس لهم مدرسة، ففتح مدرسة حرة فيها، فصار ينتقل من تماسين إلى تفرت، كما

14- محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري، المرجع السابق، ص 22.

15- الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص 226.

16- محمد الأخضر السائحي: ديوان همسات وصرخات، المرجع السابق، ص 23.

أسس جمعية الأمل الثقافية التي جمع فيها ثلة من الشباب وغرس فيهم الروح الوطنية، ينشدون الأناشيد الحماسية التي تمجد الوطن والقصائد الدينية التي تغرس القيم، وعن طريق مسرحيات تخلد التاريخ العربي والإسلامي، وكان السائحي أول من بذر بذور الإبداع الأدبي في شباب تقرت، وشجعهم على قول الشعر فقد أسس ناديا خاصا للتدريب على قول الشعر وكتابة المسرحيات، ومن قصائده في هذه الفترة قصيدته الترحيبية التي نظمها لتلاميذ مدرسة الفلاح" التي مطلعها:

مرحبا أهلا وسهلا *** أمها الوفد الجليل.

أي فجر قد أطلا *** من محياك الجليل

كما أسهم في تكوين فوج الكشافة الإسلامية مع زميله الشهيد "عضامو محمد البحري"، ونسبه إلى جمعية الأمل فسماه فوج الأمل، وكان السائحي هو صوتها الوطني بتركيباته الشعرية، وعن طريق هذا التنظيم زرع السائحي مفهوم الفكرة الوطنية العملية في أذهان الشباب ودفع بهم للعمل الوطني، وخوض غمار النضال في الحركة الوطنية في مختلف أطيافها، وجعلهم يستعدون للثورة، فجّل الذين قادوا الخلايا الثورية بتقرت كانوا من تلاميذه¹⁷ كما شكل فرقة مسرحية وأسهم في انتقال عدد من الطلبة إلى تونس ومصر لطلب العلم¹⁸.

بعد تجربته في التدريس وإسهامه في الحركة التعليمية في المنطقة، انتقل إلى مدينة باتنة سنة 1952م إلى بيت عمه "سيدي عبد القادر" بمناسبة وليمة أقامها، حضرها السيد "فتح الله بن حسين" الذي كان يرأس القسم العربي بإذاعة الجزائر فأعجب بشخصية السائحي وقدراته الأدبية وطلب منه القدوم إلى الجزائر لتقديم بعض الأعمال الأدبية في الإذاعة فالتحق بالجزائر العاصمة، وعمل بالإذاعة وفي فترة قبل الاستقلال كان يعمل أحيانا في الإذاعة ويعمل كذلك مدرسا في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان يقرأ مع الحزابة يوميا بالمسجد الكبير، إلى أن استقر في العمل بالإذاعة، ولما أنشأت لجنة الاعتراف بقدماء المعلمين واعترف للشيخ بجهوده في التعليم قبل الثورة التحق مدرسا بثانوية "ابن خلدون" في بلوزداد، لكن قيود التدريس أثقلت عاتق محمد الأخضر السائحي، ثم انتدب إلى وزارة التربية للعمل فيها إلى غاية سن التقاعد، إلا أنه استمر في العمل بالإذاعة، وفي الديوان الوطني لحقوق التأليف في ترشيد وجمع التراث ولم يتوقف عن النشاط والحركة

17- حمزة يدوغي: الجانب الروحي في شخصية الشاعر الأستاذ الشيخ محمد الأخضر السائحي، في مجلة

الثقافة، العدد صفر، مديرية الثقافة لولاية ورقلة، 2009، ص 46.

18- إميل يعقوب: معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة، دار صادر بيروت، لبنان، 2004، المجلد الثالث،

ص 1073.

إلى أن أقعده المرض وتوفي مساء الاثنين 4 جمادى الثانية 1426 هـ الموافق ل 11 جويلية 2005م¹⁹.

5. النشاط الثقافي المقاوم بعد الانتقال إلى العاصمة

إضافة إلى نشاط السائحي في تونس وخدمته لطلبة الزيتونة هناك كما سبق ذكره، ونضاله الطلابي والسياسي هناك، ومع اندلاع الحرب العظمى الثانية وسجنه لأسابيع من قبل المستعمر، فقد ظل متخفيا معلما وناشطا في فوج الكشافة الإسلامية ومدنثنا لجمعية الأمل للفن والتمثيل، يهدف من ذلك إلى بعث الروح الوطنية والدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية من لغة ودين وتراث، إلى أن انضوى في نشاط جمعية العلماء 1952 مدرسا، وقد اضطلعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمهام تعليم العربية والدين وبت الروح الوطنية والذود عن الشخصية الوطنية المستقلة تماما عن المسخ الذي أرادت فرنسا إيهام الغافلين به على أنه حقيقتهم.

انتقل محمد الأخضر السائحي إلى العاصمة في 1952 ليعمل مدرسا بمدارس جمعية العلماء، ويلتحق بالإذاعة آنذاك، فعمل منتجا إلى جانب مزاولته التدريس في ثانوية القبة (حسيبة بن بوعلي حاليا)، ومدرسة السعادة بحي بلكور، ثم انقطع للإنتاج الإذاعي حتى تحرير الجزائر.

بعد الاستقلال جمع بين التعليم والعمل الإذاعي في كل من ثانوية ابن خلدون والثعالبية بالعاصمة إلى أن تقاعد في نوفمبر 1980، إلا أنه استمر للعمل في الإذاعة، وفي الديوان الوطني لحقوق التأليف في ترشيد وجمع التراث، ولم يتوقف عن النشاط والحركة إلى أن أقعده المرض وتوفي مساء الاثنين 4 جمادى الثانية 1426 هـ الموافق ل 11 جويلية 2005م²⁰، وأشهر ما كان يقدم من برامج إذاعية: برنامج "ألوان" و"نماذج" منقبا في التراث مازجا إياه بروح العصر والتحديث بما يراه يخدم القضية ويربي المرء على الفضيلة والوطنية، وظل ذلك دأبه حتى وافاه الأجل في 11 يوليو/تموز من عام 2005 تاركا من الدواوين: همسات وصرخات 1967 وجمر ورماد 1980 أناشيد النصر، ألوان بلا تلوين 1983 إسلاميات، وأثناء تلك الحقبة الزمنية قبل الاستقلال ظل الشاعر مدافعا عن ثقافة هذا الشعب، خادما للغة القرآن الكريم، خاصة وقد أتيج له ذلك المنبر الإعلامي الذي مكنه من مخاطبة الناس وهم يستمعون إلى تلك اللغة الجميلة الصافية النقية في حدود ما تتيحه له مساحة التعامل مع المحتل.

وقد ظل الشاعر بعد الاستقلال محافظا على النشاط نفسه الذي كان قبله مشغلا

19- محمد الأخضر السائحي: ديوان همسات وصرخات، المرجع نفسه، ص 26.

20- محمد الأخضر السائحي، ديوان همسات وصرخات، ص 26

بالإذاعة ذائدا عن تراث الأمة وثقافتها ولغتها، ولمعما متجاوزا حدود المدرسة ليدخل كل البيوتات الجزائرية عبر أثير الإذاعة بأسلوبه الشيق الذي يجمع بين المتعة والفائدة، وإضافة إلى ذلك النشاط فقد كان الشاعر حاملا للواء الدفاع والمقاومة الثقافية بما حملته قصائده من معاني الدفاع عن قضايا الوطن، والأمة العربية خاصة قضية فلسطين، وقد خُلف إنتاجا ثريا نشر جله بالجرائد والمجلات التونسية والجزائرية، وله عدد من المؤلفات المطبوعة منها "همسات وصرخات" 1967، و"جمر ورماد" 1980، أناشيد النصر 1983، و"ألوان بلا تلوين" وبه جمع النكت والطرائف التي كان يذيعها في برنامجه الإذاعي ألوان ثم نماذج، عرف رواجاً كبيراً، كما ترك ديواناً للأطفال 1983، وإسلاميات 1984، بقايا وأوشال 1987، الراعي وحكاية ثورة 1988، كما كان ضمن الأعضاء المؤسسين للاتحاد الكتاب الجزائريين منذ الستينات، وشارك في جل النشاطات الأدبية والمليقيات الثقافية في الجزائر، وحضر أغلب مؤتمرات اتحاد الكتاب العرب، ومثّل الجزائر في عدد من المهرجانات الثقافية الدولية ومهرجانات الشعر في جل العواصم العربية، وقد تميز شعره بالخفة وبروح الفكاهة التي تمتع بها في برنامجه الإذاعي "ألوان" والذي امتد لأكثر من عشرين سنة بالقناة الأولى، كما أنه اهتم بالأسرة والمرأة والطفولة بالأخص، باعتبارها مدرسة الرجولة وأساس التنشئة الأولى المتحكمة في شخصيته وفي ميوله وذوقه، فألف مقطوعات شعرية وأناشيد وطنية ودينية وقصص للأطفال بلغة سلسة ضمنها القيم الوطنية والخلقية المقتبسة عن الدين الإسلامي والهوية الوطنية، فأصدر ديوان وأغاني للأطفال 55 نصا شعريا وأناشيد عام 1983.

وشعره رسالة للتحرر والبناء الوطني، فهو الشاعر الملتزم المخلص في أداء رسالته، فضح جرائم الاستعمار وعناوين دواوينه توحى بذلك "جمر ورماد، همسات وصرخات، أناشيد النصر.."، وجند شعره في خدمة الحرية والقضية الوطنية، كما فاز بجوائز كالميدالية الذهبية بمهرجان الشعر العربي الحادي عشر بتونس في مارس 1973، كما فاز بالجائزة التي رصدها اتحاد المغرب العربي لاختيار نشيد رسمي له:

حلم جدي حلم أمي وأبي * حلم من ماتوا وحلم الحقب
فانثروا رايته خفاقة * وارفعوها فوق هام السحب
مغرب نسبته للعرب * واجعلوا القوة فيه مطلباً
بالتلاقي التآخي والوثام * نبتغي للمغرب الحرّ السلام

وفي قصيدته في ملتقى الفكر الإسلامي عام 1982 في تلمسان، وهو ملتقى فكري عالمي يعقد كل سنة في مدينة من مدن الجزائر، يتسم بالتسامح أولاً، يحضره علماء من مختلف الأديان، وكل المذاهب والفرق الإسلامية، تمزج البحث في الماضي مع حاجات العصر وقد

كان يومها صورة مشرفة للجزائر الطامحة لولا أن عصفت به ريح لم تبق ولم تذر:

أرى الشعرينأى إن دنوت ويهرب
يشرق في أغراضه ويغرب
ولا يستبيه في تلمسان منظر
وإن كان يستبي الناظرين ويسلب
فمعدرة يا ملتقى الفكر ما أنا
أغني ولكن في الحقيقة أندب
عجبت لأرض فوقها قبر خالد
وألف عظيم تحتها ليس تنجب
مذاهبهم في الخلاف كثيرة
وليس لهم في وحدة الرأي مذهب
إذا لم نصنع جيلا جديدا على التقى
ونبنيه من أعماقه سوف نخرب
وعودوا إلى الماضي البعيد فإنه
إلى أبعد الغايات أدنى وأقرب

والمحصلة أن السائحي كان شاعرا كبيرا من رواد شعر المدرسة الكلاسيكية التي ضمت
فحولا من شعراء الجزائر: كمحمد العيد وأحمد سحنون ومبارك جلواح، وقد كان شاعرا
ملتزما بآتم معنى الكلمة، جند شعره للدفاع عن الحرية ثم ساهم في البناء الوطني بعد
الاستقلال .

وارتقى بالأثير بما كان يقدمه من برامج أدبية في بلد حاول المستعمر تدمير هويته
ومسخ شخصيته وقد ترك لفيضا من أذنا به عاثوا فيه فسادا، غير أن توجهه للكتابة
للأطفال أهم ما يميزه، ففي المكتبة الوطنية نقص كبير في أدب الأطفال ولعل هذه سمة
العالم العربي برمته لولا أن رأينا انتعاشا في الراهن بتكريس جملة من الجوائز للكتابة
القصصية والشعرية للأطفال، وهي لفتة تنم عن انتباه إلى خطر الطفولة في المستقبل
فإهمالها يعني إهمال مستقبل علميا وخلقيا وحضاريا.

6. الخاتمة

بعد هذه النقطة البانورامية التي أدرناها في سيرة محمد الأخضر السائحي يتبين لنا ما
يأتي:

- كان للمقاومة الثقافية التي قادها أفراد من الشعب الجزائري أثر كبير في إحباط مشروع
المستدمر الفرنسي الهادف إلى طمس هوية الشعب الجزائري ومسخ حضارته وتاريخ أمته.

- تفتن العلماء لمخططات المحتل الفرنسي وسعيهم المبكر لمحاربتها، أسهم في الحفاظ على هوية الأمة وثقافتها، وإبقاء روح النضال متقدة في النفوس كانت ثمارها ثورة مباركة أكلت أخضر المحتل ويابس.

- تنوع الأسلحة الثقافية للحركات الإصلاحية سد الكثير من الثغرات في التربية والتعليم التي سعى المحتل لتهديمها ومحاربتها.

- يعتبر محمد الأخضر السائحي بحق أيقونة المقاومة الثقافية في الجنوب الشرقي بالنظر إلى سجله النضالي سواء ما كان منه أثناء الاحتلال أو ما بعد الاستقلال.

- الكثير من نشاط المصلحين والثائرين ثقافيا بقي في طي النسيان لانشغال الناس بالحديث والتأريخ للجانب المسلح من الثورة. مع أن الثورة الثقافية والمسلحة صنوان لا ينفصلان.

- ضرورة التاريخ والتسجيل لحماية هذا الإرث الثقافي، لرد الاعتبار لهذه الشخصيات التي كان لها دور كبير في حماية الأمة الجزائرية والذود عنها.

- ومما نوصي به في ختام هذا العمل أن نشير إلى أهمية أن تفرد ملتقيات وندوات لكل شخصية على حدة حتى تضاء كل جوانب حياتها حفظا للتأريخ ووفاء للعهد، وتوريثا للأجيال.

7. قائمة المراجع

- أبو القاسم، سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.

- إميل، يعقوب، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة، دار صادر بيروت، لبنان، 2004.

- بوعزيز، يحيى، أوضاع في الجزائر خلال ثورة أول نوفمبر، مجلة الشهاب الجديد، العدد 03، 2004.

- الجابري، محمد صالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900م - 1962م، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1983م.

- حمادي، عبد الله، أصوات من الأدب الجزائري الحديث، دار البعث، قسنطينة، 2001.

- دبو، محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 1971م.

- السائحي محمد الأخضر، ديوان همسات وصرخات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.

- سعيدوني، نصر الدين، دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م.

- الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، دار المعارف للطبع، تونس، ط2، 1830 - 1956.
- عوشت، سعيد بكير، إبراهيم بيوض وجهاده الإسلامي في الجزائر، المطبعة العربية ، غرداية، دط، 1987.
- المديني، أحمد توفيق، حياة كفاح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط1، 1976.
- مريوش، أحمد، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كنوز الحكمة، الجزائر.
- مياسي، إبراهيم، موقف الإدارة الاستعمارية من تعليم الجزائريين، مجلة الشهاب الجديد، العدد3، الجزائر، 2004.
- يدوغي، حمزة، الجانب الروحي في شخصية الشاعر الأستاذ الشيخ محمد الأخضر السائحي، مجلة الثقافة، العدد صفر، 2009.